قراءة في النسق المفهوماتي

لبيار بورديو

د. حجال سعود/ جامعة تلمسان

تمهيد :

إذا كان المفهوم في جوهره عبارة عن تصور ذهني وبناء تجريدي للواقع الاجتماعي يمكن قياسه اجرائيا من خلال مؤشراته فإنه من الناحية الابستمولوجية يملك القدرة على فهم وتفسير الواقع، لكن المخاطرة تكمن في انسلاخه عن بيئته الثقافية التي انبثق منها وبعبارة أخرى من البناء النظري الذي يندرج تحته كي نسقطه اجرائيا على واقع اجتماعي مغاير يحمل محتوى ثقافي مختلف من أجل تأويل جزء من حقيقته، وفي بعض الأحيان تصعب علينا هذه العملية فنلجأ إلى تكييفه أي تعديله، الأمر الذي يجعلنا حذرين في استخدامه. وأمام هذا المأزق الابستمولوجي في طرح المفهوم على بساط الواقع المغاير حاولنا القيام بقراءة النسق المفهوماتي البوردوي فوقفنا على بعض مفاهيمه تمعنا فيها، ترجمناها ترجمة شخصية بتصرف، ففحصنا مختلف الجوانب التي يمكن الإحاطة بها من جهة من خلال أمثلة ترتبط بواقعنا المحلي، ومن جهة أخرى بالرجوع إلى مختلف الأدبيات السوسيولوجية التي تتقاطع مع هذا النسق المفهوماتي، هذه القراءة أخذناها أساسا من المرجع الأصلي المعتمد عليه وهو للثنائي أوليفي فونتان **(o) Fontaine** وكريستين شوفيري **(ch) vocabulaire de Chauviré (le Bourdieu)**[1]

بيار بورديو في سطور:

[1] Chauviré christiane et Fontaine olivier : Le vocabulaire de Bourdieu, ed Ellipses, France, 2003 p08.

بيار بورديو (**1930–2002**) عالم اجتماع فرنسي معاصر معروف بأعماله حول الجزائر، وفي ميدان سوسيولوجية التربية، ترك عدة مؤلفات من كتب ومقالات في التربية، الثقافة، السياسة، الابستمولوجيا،...الخ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الورثة (Les héritiers) بالتنسيق مع زميله جون كلود باسرون (J C Passeron) (1964) ، إعادة الإنتاج Reproduction (1970)، الهيمنة الذكورية Domination masculine، (1998)، سوسيولوجية الجزائر Sociologie de l'Algérie. (1958)... الخ

1- الفضاء الاجتماعي Espace social

مفهوم الفضاء الاجتماعي مأخوذ من كارل بوبر، ليس له حقيقة في الوجود بل هو تصور ذهني للوجود نفسه، إنه فضاء للتوزيع ومجال واسع للوضعيات المهيكلة من طرف العديد من الأبعاد (الحقول ورؤوس الأموال)، يتميز الفضاء الاجتماعي باختلاف الوضعيات وتمايزها ويمكن فهم الوضعية بتقابلها مع وضعيات أخرى في إطار البنية وبمجموع الموارد الخاصة بالرساميل وبنية الاستعدادات المكتسبة (هابيتوس)، يتكلم بيار بورديو عن الفضاء الاجتماعي ببعدين أساسيين أحدهما عمودي يشير إلى الموارد التي يحوز عليها الأفراد أما الأفقي فهو يشير إلى توزيع الموارد بين الرأسمال الاقتصادي (ممتلكات ، أجر ... الخ) والرأسمال الثقافي (شهادات ، معارف... الخ)، فكل وضعية اجتماعية تتناسب مع طريقة حياة معينة، وعلى هذا الأساس تنبثق الطبقات الاجتماعية، فالطبقة المهيمنة تتواجد في أعلى السلم الاجتماعي تحسن توظيف التمايز لإثبات هوية خاصة بها وإضفاء الطابع الشرعي لممارستها ولنظرتها إلى العالم وهي التي تحدد الثقافة الشرعية 'لها زاد مرتفع في الرساميل، أما الطبقة الشعبية فهي تتميز بعدم الامتلاك أي ضعف في الرساميل التي هي بحوزتها والعديد من ممارساتها وتمثلاتها نجد لها دلالة في قيمة الفحولة وحدها قائمة على قبول السيطرة من طرف الطبقة البرجوازية، فعلى سبيل المثال لو نأخذ وضعية أستاذ التعليم العالي ووضعية الإطارات الخاصة فهما ينتميان إلى الطبقة العليا في الفضاء الاجتماعي (المجتمع) لكن

نلاحظ تفاوتا في الرساميل لكل منهما فقد يملك أستاذ التعليم العالي رأسمال ثقافي أعلى وبالمقابل يملك الإطار الخاص رأسمال اقتصادي أعلى، في المقابل يملكان رأسمال اقتصادي وثقافي أي رمزي أعلى من الأجير الفلاح أو العامل اليدوي الموجود في أسفل السلم الاجتماعي (المجتمع)، كلما ارتفعنا فيه زاد حقل السلطة والهيمنة والعكس صحيح، كما أن حقل السلطة مرتبط بقيم الاعتراف الشرف ، السمعة ... الخ

يتكلم بورديو عن الصراع الطبقي بين الطبقة البرجوازية والطبقة الشعبية وهو صراع رمزي يخفي علاقات القوة ويضفي شرعية على المهيمن وعلى المهيمن عليه لكن في الوقت الحالي وحسب آلان توران فإن الصراع يأخذ شكل مراقبة التوجهات الثقافية للمجتمع حيث يشهد المجتمع ما بعد الصناعي حركات مختلفة (نسوية، طلابية ... الخ) تحاول أن تعيد النظر في النظام الاجتماعي القائم وربما تغييره بدون أن يكون هذا التغيير راديكاليا بالمفهوم الماركسي.

2 – في مفهوم العون الاجتماعي: Agent social

يستخدم بيار بورديو مفهوم Agent social الذي يتميز بانضمام الاكراهات والضغوطات الموضوعية الخاصة بتواجده في حقل ما أي في بنية معينة فتصرفاته، أفعاله، استراتيجياته المحضرة في لعبة الصراع تتوقف أساسا على انتماءه البنيوي، هذا بالإضافة إلى الحتميات الذاتية ونقصد بها الاستراتيجيات المحضرة من طرفه والتي تتحكم فيها بنية الاستعدادات المكتسبة هذه الأخيرة تتعدى فردية العون الاجتماعي أي هي ما فوق الفردية ، ما فوق حريته الشخصية هي الأخرى تتحكم في سلوكياته الواعية منها وحتى غير الواعية فهو لا يتحكم في أفعاله بل هذه البنية هي التي تتحكم وتسير أنماط التفكير والتصرفات في حس ممارساتي متميز أكثر منها حسابات عقلانية، نلاحظ من خلال هذه المعطيات أنه يختلف مع طرح نظري آخر وهو طرح ريمون بودون(r)Boudon في نظرته للفاعل الاجتماعي التي تقوم على مبدأ حرية الفرد واستقلاليته وعلى الحساب العقلاني في إطار نسق

التفاعل , ففي الوقت الذي يعبر بورديو عن الإستراتيجية المحضرة للعون الاجتماعي والتي تتحكم فيها عوامل خارجية تتعلق بالحقل وبنية الاستعدادات المكتسبة (الهابيتوس) فهو يشير إلى حتمية أفعاله أو القدرية بالمعنى الأخلاقي والفلسفي فإن بودون يتكلم عن إستراتيجية الفاعل الاجتماعي حيث تخضع سلوكاته إلى دوافع نفعية محضة أي عوامل داخلية هي التي توجه السلوك نحو تحقيق أكبر قدر من المنفعة بالمفهوم الاقتصادي لها فهو يشير إلى الاستقلالية وهامش الحرية في إطار لعبة التفاعل أي الحرية بمقابل القدرية. في هذا الصدد يمكن الاشارة إلى مفهوم الفعل لدى بودون بكونه: "يمثل فئة من السلوكات القصدية نعني بها محفزة ويمكن اضافة مجموعة اختيارات (بنية اختيارات) لها معنى بالنسبة لأولئك الذين ينتجونها، فالفاعل محكوم بالأهداف التي يرغب في الوصول إليها وبالتمثلات التي يحوز عليها والمرتبطة بالوسائل الكفيلة التي تسمح له بالوصول إلى أهدافه[2].

3 – في مفهوم الحقل:

يعتبر الحقل بمثابة عالم له قوانين اشتغاله فهو المكان الذي تدور فيه الوقائع الاجتماعية من أجل السلطة والنجاح أو بالأحرى الصراع من أجل تعزيز كل عون اجتماعي لمركزه والنجاح عندئذ يكون مقرونا بالاعتراف وإعادة الاعتراف الاجتماعي. كل حقل مهيكل بطريقة خاصة، يتعلق الأمر بسلطة ورأسمال اجتماعي، اقتصادي وثقافي يتحول إلى رأسمال رمزي يخفي علاقات القوة والهيمنة من أجل المحافظة على الوضع القائم أو من اجل تغييره باستراتيجيات مختلفة حيث يسلك فيه الأعوان الاجتماعيون سلوك لاعبين وتظهر لعبة السلطة و التحكم من خلال مبدأ التوزيع غير العادل للرساميل السالفة الذكر أعلاه، فالحقول عديدة – حقل جامعي، حقل ديني، حقل إعلامي، حقل سياسي ... الخ

فلو اخذنا الحقل الجامعي عندنا فإنه يظهر بصورة واضحة ذلك الصراع بين الطالب الكلاسيكي والطالب الشائع على حد تعبير جمال الدين غريد (رحمه الله) والذي تجسد فيما بعد بين الأستاذ الكلاسيكي

[2] Michel Dubois : Première leçon sur la sociologie de Raymond Boudon , ed Puf, 2000, p 24

والأستاذ الشائع في صورة إعادة الإنتاج، فالطالب الشائع هو المرتبط بالوضعية الراهنة التي تعيشها الجامعة الجزائرية في أزمة عدم تمكنها من خلق نخبة مثقفة كما كانت بعد الاستقلال في سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي فهو " يأتي غالبا من المناطق الداخلية للوطن، أحادي اللغة، ويتشبع بثقافة اسلامية والمقابلة بينه وبين الطالب الكلاسيكي تظهر من خلال الممارسات البيداغوجية وفي العلاقة مع المعرفة في تصور المستقبل المهني لكل منهما، في العلاقة مع الدين، في الاختيار الاديولوجي والسياسي[3]. وعندما نتطرق إلى الحقل السياسي عندنا فالصراع على الحكم كان قبل الاستقلال وحتى بعده ويتجلى حتى في أعلى هرم السلطة السياسية وداخل الأحزاب السياسية نفسها على من يتولى زعامتها إما من أجل المحافظة على الوضع الراهن أو من اجل تغييره، كما نجد في الحقل اللغوي صراع بين المعربين والمتفرنسين و هكذا عليه الآمر في حقول أخرى التي تشهد صراعات بين مختلف أعوانها الاجتماعيين .

4–في ماهية الأبيتوس : habitus

مهما اختلفنا في ترجمة هذا المفهوم إلى بنية الاستعدادات المكتسبة أو الملكة أو الهابيتوس نفسه فإنه يشير إلى منظومة الاستعدادات الدائمة التي اكتسبها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية أما عن الاستعدادات فهي مواقف، اتجاهات وميول للإدراك، الإحساس والتفكير مستبطنة لدى الأفراد نتيجة الظروف الموضوعية لوجودهم وتشتغل كمبادئ لا شعورية للإدراك والتفكير بمعنى آخر فإن للأبيتوس بعدين أساسين أولهما أنه منتج (مولد) بمعنى ميكانيزم للتفرقة الطبقية والتمايز وهو الذي يقوم بخلق نمط حياة مختلفة بين الطبقتين أو ما بين فرديين يشغلان أوضاعا اجتماعية مختلفة في السلم الاجتماعي فهو يقوم بتوجيه سلوكنا وتمثلاتنا مسبقا عندما يتعلق الأمر على سبيل المثال باختيار الذوق 'الملبس 'اختيار شريك الحياة 'المهنة ... الخ ومن جهة أخرى فهو منتج (مولد) بفعل العناصر التي تنتقل إلى الأفراد عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة كالطبقة 'العائلة 'المدرسة ... الخ

[3] Guerrid Djamel : Lexeption Algérienne, Casbah édition, 2007 , pp 289,290

معنى ذلك أنه يرتبط بماضي وتاريخ الأفراد وتجارب حياتهم السابقة فهو أي الأبيتوس قد تكون من خلال السيرورة التاريخية للأفراد حتى استبطنوا نماذج التفكير' الفعل' الإدراك ... الخ بعبارة أخرى فإن الأبيتوس ميكانيزم أو لوحة (Matrice) يحدد لنا التمايز الطبقي ويوجه الاختيارات والأذواق وكافة الممارسات الاجتماعية والثقافية المختلفة بصورة حتمية لا أثر لحرية الاعوان الاجتماعين فيها معنى ذلك فإن الأعوان الاجتماعيين الذين لهم نفس الملكة ليسوا بحاجة إلى أن يتشاوروا ويختلفوا أو يتفقوا على أمر ما عندما يتعلق الأمر باختيار ما أو تمثل ما فإنهم بالضرورة سوف يسلكون نفس السلوك لأن الأبيتوس هو الذي يتحكم فيهم وما دام أنهم يتحركون في ظل نفس الانتماء الطبقي فإن تصرفاتهم تتشابه وتعاود التكرار حتى يتولد اسلوب حياة خاص بهم وعلى العكس من ذلك بالنسبة لأعوان آخرين مختلفين عنهم في السلم الاجتماعي معنى ذلك أن الأبيتوس يمتلك خاصية صنع التمايز وإعادة الإنتاج لكنه في نفس الوقت قابل لأن يتغير بفعل ظروف عديدة هذا ما يظهر في صراع الأجيال عندنا على سبيل المثال بين الآباء الذين يحافظون على التقاليد الاجتماعية إلى حد ما، أكثر ارتباطا بالدين لهم نظرة خاصة تتجه إلى المحافظة على التقسيم الجنسي التقليدي للعمل وبين الابناء الحاليين الذين يتميزون بقبول تقاسم الأدوار والزواج الحر هم أقل ارتباطا بالدين وأقل محافظة على التقاليد ... الخ

5- في مفهوم إعادة الإنتاج Reproduction

يعتبر مفهوم اعادة الانتاج مركزيا في النسق المفهوماتي لبورديو فكل عون اجتماعي في وضعية مقبولة نسبيا فيما يخص حجم الرأسمال (المادي والرمزي) والرضا الاجتماعي والشخصي نراه بوعي أو بدون وعي يحبذ نقل هذا الميراث لأتباعه أي لورثته. هذه الظاهرة موجودة في كل المجتمعات، في كل الحقول الاجتماعية ولدى كل الفئات الاجتماعية بدرجات متباينة، هذا ما يجعل مختلف الأعوان الاجتماعيين ينمون استراتيجيات خاصة لإعادة الإنتاج من اجل نقل أحسن لوضعيتهم ولأوضاعهم بكل خصائصها.

نلاحظ ذلك الترابط بين مفهومي الهيمنة وإعادة الإنتاج ففي الوقت الذي نسعى فيه إلى اخفاء علاقات النفوذ من اجل السيطرة والتحكم وحتى يتم نشر ثقافة المهيمن على المهيمن عليه فإن هذه الاستمرارية في الهيمنة لا تتأتى إلا بورثة قادرين على تأمين وحماية ونشر هذه الهيمنة 'أي ورثة شرعيين أقوياء وجديرين بالمحافظة على سيطرة المهيمن انها استراتيجية اعادة الانتاج أي اعادة القوة من جديد حتى نحافظ على الاوضاع القائمة هكذا فإن " كل نفوذ يتمكن في وقت من الاوقات من أن يفرض معاني معينة بصفتها معاني مشروعة وأن يفرضها عن طريق اخفاء علاقات النفوذ التي هي أساس قوته، يكون بذلك قد جمع قوته الرمزية الخاصة إلى علاقات النفوذ المشار إليها.[4]

لكن في واقعنا المحلي نجد صورة مختلفة لإعادة الإنتاج ليست بالضرورة مطابقة للبناء النظري البوردوي فعلى سبيل المثال وانطلاقا من تجربة الوكالات المحلية للتشغيل في سوق العمل فإن الشاب البطال الذي ينحدر من أصول اجتماعية متدنية في السلم الاجتماعي نراه يلجأ إلى هذا النوع من المؤسسات الوسيطية بحثا عن منصب عمل ففي حالة توظيفه بعقد مؤقت وهو المعمول به في مثل هذه الحالات وبعد انتهاء آجال العقد فإنه من جديد يعود بصفته بطال يملك خبرة مهنية سابقة ليعاود البحث عن الشغل من جديد خاصة إذا علمنا أن التثبيت في المناصب الدائمة ضعيف للغاية حسب ما تقدمه الاحصائيات الرسمية عندنا بعبارة أخرى وكأننا أمام مجتمعين مختلفين في مجتمع واحد' فظاهريا نريد أن نرقي هذه الفئة اجتماعيا إلا أن الواقع يشير إلى اعادة انتاج الأوضاع القائمة على التراتبية الاجتماعية والاقتصادية. كما نلاحظ أن هذا المفهوم يمكن اسقاطه لدى فئة اجتماعية أخرى عندما يتعلق الامر بفئة المجاهدين هذه الفئة على سبيل المثال تحاول أن تستمر وتبقى بخلق ورثة جديرين بالمحافظة على ارث العائلة الثورية في لغة السياسيين عندنا أي أبناء المجاهدين وأحفاد المجاهدين. كذلك نجد في فعل المقاولة

---

[4] محسن خضر : بيار بورديو فيلسوف العنف الرمزي، مجلة العربي ، عدد 477، أفريل 2000، 66.

لدى بعض الشباب عندنا أن الحفاظ على الإرث العائلي وإعادة إنتاجه مجسد في صورة المؤسسة المصغرة كفكرة ثم كمشروع أيضا وهنا تلعب العائلة دورا مركزيا في إعادة الانتاج من خلال الفعل المقاولاتي.

المهم من كل هذا ينبغي أن نشير إن أن مفهوم إعادة الإنتاج لدى بورديو له سياق خاص يختلف عن ما طرحناه من أمثلة خاصة عندما يتعلق الأمر بدور المدرسة في انتاج ثقافة الطبقة المسيطرة والتي لا يمكن عزلها عن البنية الطبقية للمجتمع الفرنسي في صورة التباهي بديمقراطية التعليم 'كما أن هذه العملية مرتبطة بنقل الرساميل الاجتماعية 'الاقتصادية والثقافية إلى ورثة مدعمين برأسمال قريب من لغة الجهاز المدرسي لكن الأمر يختلف عندنا فالتمايز الطبقي غير واضح وليس بنفس الصورة الذي هو عليه في المجتمع الفرنسي إلا أن اعادة الانتاج آليا موجودة لدى فئات أو شرائح اجتماعية عديدة من أجل البقاء والحفاظ على الأوضاع القائمة فهي إشارة إلى مقاومة التغير الاجتماعي في حين ترفض شرائح أو فئات أخرى آليات اعادة الانتاج بالشكل الحالي وتسعى إلى التغيير بطرق مختلفة كالحركات الاحتجاجية عبر مختلف أنحاء الوطن.

6-في مفهوم الهيمنة: Domination

يشكل مفهوم الهيمنة الأساس في النسق المفهوماتي البوردوي ففي كل حقل من الحقول نجد صورا مختلفة لأشكال الهيمنة والصراع بين مختلف الأعوان الاجتماعيين ولا تقوم الهيمنة إلا بالخضوع اللاواعي للمهيمن عليه أي مكره وفي بعض الأحيان تلقائي 'عفوي في إطار لعبة الصراع وفي نفس الوقت يبني المهيمن عليه استراتيجية مقاومة حتى يخفض من حدة الهيمنة 'بفضل هذا المفهوم يمكننا فهم وتحليل العلاقة بين الذكورة والأنوثة في الحقل الأسري، بين المعلم والتلميذ في الحقل المدرسي، وبين الإطار والمنفذ في حقل الانتاج أو الحقل المهني... الخ

يستعمل بيار بورديو هذا المفهوم في الوقت الذي يستعمل فيه كارل ماركس مفهوم "الاستغلال" من المؤكد أن لكل مفهوم سياق خاص به، منطقه، رهاناته وسيرورة بناءه في هذا الصدد يشير مفهوم الاستغلال "

استحواذ رب العمل (الرأسمالي) على فائض القيمة في العلاقة الإنتاجية التي تربطه بالعامل.[5] معنى ذلك أن الاستغلال مرتبط بفضاء الإنتاج ويفسر لنا العلاقة الثنائية بين رب العمل والعامل بالإضافة إلى الطابع الاديولوجي المندرج في سياقه لكن هذا المفهوم محدود في تفسير العلاقة بين الذكورة والأنوثة في الحقل الأسري على سبيل المثال فيمكن أن تهيمن المرأة على الرجل أو العكس بدون أن يضفي عليها طابع الاستغلال بالمفهوم الماركسي معنى ذلك أن مفهوم الهيمنة أقوى في التأويل من مفهوم الاستغلال. كما أن مفهوم الاستغلال له تفسيره الاقتصادي المحض حيث يرتبط بقوى الإنتاج، علاقات الإنتاج ومن ثم بنمط الانتاج أما مفهوم الهيمنة فله منطقه الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى فإن مفهوم الاستغلال ظهر قبل مفهوم الهيمنة حيث في السياق التاريخي شكل ماركس أحد المصادر الفكرية لبيار بورديو. في مجال الهيمنة الذكورية نجد إن المهيمن يبرر هيمنته بطرق عديدة فبالرجوع إلى النظام الاجتماعي القائم الذي وضعا فيه كل من الرجل والمرأة عندنا تظهر الهيمنة الذكورية من خلال عدة صور فعلى سبيل المثال يحبذ في مسألة الزواج أن تكون شريكة الزوج أقل سنا منه وعلى العكس من ذلك بالنسبة للزوج حتى يتجنبا عملية الوصم الاجتماعي بأن أحدهما منحط عن الآخر في حال مخالفة قواعد هذه اللعبة الاجتماعية هي بداية الهيمنة بالنسبة للزوج وهي أيضا بداية قبول الهيمنة بالنسبة للزوجة لكن هذه الهيمنة ليست مطلقة بل مؤقتة فقط قد تستمر أو تنقلب إلى الضد بفعل ميكانيزمات عديدة هي مرتبطة أيضا بنوع وقوة الرساميل التي يملكها كل واحد منهما فعلى سبيل المثال إذا ما توفرت المرأة على رأسمال اجتماعي ومادي معتبر فقد تقبل زوج أقل منها سنا وربما في بعض الأحيان بدون شغل – بطال – في حال تواجدها في سن متأخرة (عنوسة) في هذه الحالة مثلا تظهر بوادر الهيمنة للمرأة ويقبل الرجل بالهيمنة عليه إلا أن هذه الهيمنة ليست مطلقة ولا نهائية، معنى ذلك أنه مهما كان شكل وطبيعة الهيمنة فإنها تنتج بالضرورة هيمنة مضادة لها ’أي أن العون الاجتماعي يبني استراتيجية مقاومة هذا من طبيعة الأشياء نفسها فما بالك بطبيعة البشر أثناء الدخول

[5] Dollo Christine, Lambert (J .R) et all : Lexique de Sociologie, 8eme edition, 2007, p119

في علاقات صراع بينهم بغية التحكم والسيطرة فهي مسألة جد معقدة. في مجتمعنا نلاحظ أن وضع الهيمنة الذكورية بدأ يتقلص لصالح القيم الأنثوية بفعل عدة عوامل: كتعديل قانون الأسرة، خروج المرأة للعمل حتى في القطاعات التي كانت حكرا على الرجل في السابق، تأثير الحركات النسوية العالمية، ظاهرة العولمة، الكتابات النسوية العديدة ... الخ مما يؤدي بنا إلى اعادة قراءة هذا المفهوم في ظل التغير الاجتماعي الذي يشهده مجتمعنا والذي لا يمكن فصله عما يجري من تغيرات عالمية. هكذا تتكلم فاطمة المرنيسي عن إشكال للهيمنة الرجل على المرأة في المجتمع المغربي بقولها ." يتجسد واجب الرجل في اخضاع زوجته من خلال حقه في تقويمها عن طريق الضرب، ونجد في القرآن لفظة "نشوز" التي تعني تمرد المرأة ويوصي الله تعالى الزوج في هذه الحالة باتخاذ موقف صارم واللجوء إلى العقاب البدني كحل أخير [6]

7– ماهية الرأسمال :

يتكلم بيار بورديو عن الرأسمال بصورة تختلف عن تلك التي أعطاها إياه كارل ماركس، هذا الأخير وظفه في إطار مقاربة اقتصادية محضة من أجل فهم صراع الطبقات الاجتماعية خاصة في المجتمع الرأسمالي نجد عند بورديو بالمقابل أربعة أصناف من الرساميل وهي كالآتي:

الرأسمال الاقتصادي: يشير الرأسمال الاقتصادي إلى امتلاك أو الحوز على كل أشكال الغنى المادي والمالي فهو عنصر أساسي في البناء الاجتماعي الطبقي وفي هيكلة الروابط الاجتماعية وكذلك هو الذي يضمن الثنائية القطبية بين المسيطرين والمسيطرين عليهم في الحقول الاجتماعية و الفضاء الاجتماعي.

الرأسمال الثقافي: يشير الرأسمال الثقافي إلى مجموع الأشياء الرمزية التي ترجع من جهة إلى المعارف المكتسبة التي تظهر مخزنة على شكل استعدادات دائمة مستبطنة كأن يكون الشخص مثلا مؤهلا في ميدان ما من

6 فاطمة المرنيسي: ما وراء الحجاب – الجنس كهندسة اجتماعية، تر (فاطمة الزهراء أزرويل)، ط1 ، 2005 ، المركز الثقافي العربي المغرب، ص 112

ميادين المعرفة، أن يكون مثقفا، الحصول على تحكم جيد في اللغة، الاعتراف وإعادة الاعتراف في العالم الاجتماعي...) يمكن أن يظهر أيضا على شكل انجازات مادية ذات طابع ثقافي كميراث الأشياء الثقافية (لوحات، كتب، وسائل، آلات ...) ويمكن أن يظهر على شكل مؤسساتي معترف به من طرف المجتمع بطريقة موضوعية والتي تجعل أيضا الدولة تضفي طابع الاعتراف طابعا عموميا، مثل الشهادات، الألقاب، النجاح في الموسيقى ...ان الرأسمال الثقافي لا يورث ولا يمكن ارجاعه إلى الولادة البيولوجية بل يظهر بعد مجهود شخصي من الممارسة والاكتساب أي بعد مدة من التمرن ومن عملية التثاقف وهو الذي يساهم في عدم تساوي الحظوظ أمام التمدرس بالنسبة للأطفال من مختلف الأصول الاجتماعية.

الرأسمال الاجتماعي: يشير الرأسمال الاجتماعي إلى قدرة العون الاجتماعي على الاستثمار فيما هو اجتماعي أي شبكة العلاقات الاجتماعية أو بعبارة أخرى كل ما يندرج في إطار مجموع الاتصالات، المعارف، الروابط الاجتماعية، صداقة ... الخ والتي تعطي للفرد وزنا معينا إما على شكل موارد حالية محصل عليها انطلاقا من ظروف ما أو المخزنة سابقا (كمونية) حيث ترتبط بالاعتراف وبإعادة الاعتراف من طرف الآخرين وعلى هذا الاساس فإن الاعتراف بأي شكل من أشكال الرأسمال هو اشارة إلى امتلاك النفوذ والقوة في أي حقل من الحقول. تظهر أهمية الرأسمال الاجتماعي في عملية البحث عن الشغل فكل المصادر التي يلجأ إليها طالب الشغل والتي تندرج في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية توصف بأنها تشكل رأسمال في حالة قدرته على استثمارها بما يحقق غرضه أي بقدرة الفرد على جعل الآخرين الذين يرتبط بهم على جاهزيتهم لتقديم المساعدة له أي عندما تصبح هذه الدعامة الاجتماعية نافعة له، هذا ما ينطبق على البطالين " فالعاطلون عن العمل (خصوصا لمدة طويلة) الذين لن يكون لهم بعد أي لجوء علائقي ممكن هم الأكثر عرضة للوقوع في الاقصاء. "[7]

الرأسمال الرمزي: يعتبر الرأسمال الرمزي كنتاج تحويل روابط القوة إلى رابطة المعنى (الرمزية) فهو الذي يبين عامل أو آثار العنف غير المادي لأشكال الرساميل الأخرى على الوعي معنى ذلك أن كل الأنواع السالفة الذكر

من الرساميل (اقتصادية، ثقافية واجتماعية) يمكن أن تتحول بدرجات مختلفة كي تعمل كرأسمال رمزي يظهر على سبيل المثال في حالة اسم عائلي كبير أو عائلة ذات سمعة مرموقة في مدينة ما ، لها تاريخ عريق وصيت، ممارسات متميزة ... الخ كذلك يظهر في شكل امتلاك أشياء مادية وغير مادية موروثة أو تم الحصول عليها بطرق معينة 'تعطي لأفرادها نوعا من القوة في التحكم والسيطرة ترجع أساسا إلى الاعتراف وإعادة الاعتراف بسلطتها الرمزية فالغالب يأخذ سلطته ببساطة الاعتراف من طرف الآخر الذي اعترف بأنه أصبح يتحكم فيه بطريقة شرعية فالرأسمال الرمزي هو الذي يضمن تبعية المغلوب عليه للغالب كتبعية الطبقة الكادحة للطبقة البرجوازية وفي مسألة تبعية المغلوب للغالب فإن الأول مولع بتقليد الثاني لأنه يعتقد حتى ولو كان مخطئا في اعتقاده أن في الغالب صفات كمال لا تتوفر فيه فينقاد إليه طوعا هذه الصفات أو الخصائص تشكل رأسمال رمزي وهذا واضح حتى في مجال العلاقات الدولية فالولايات المتحدة الأمريكية تملك رأسمال رمزي بفضله تهيمن على باقي دول العالم الأخرى.

8– في ماهية العنف الرمزي:

يشير العنف الرمزي إلى كل سلطة تتمكن من فرض دلالات معينة فتضفي عليها طابع الشرعية من خلال اخفاء علاقات القوة التي تتأسس عليها فهو يعكس علاقات القوة والهيمنة التي تم استبطانها من قبل الفاعلين حسب موقعهم في الحقل الاجتماعي وحسب الرساميل التي يمتلكونها 'حيث يتم استبعاد أفراد آخرين ويقبل هؤلاء بتبعيتهم للمهيمن برضاهم أي بدون أن يشعروا بأن هذه السيطرة مفروضة عليهم بشكل بنيوي مؤسساتي حيث يقوم على فرض مقولات الادراك الاجتماعي ففي خضم صراع الطبقات تحاول كل طبقة اجتماعية فرض تصورها للعالم وفقا لمصالحها، لكن الطبقة المهيمنة لها أكثر فرص لفرض هذا التصور على شكل ثقافة مشروعة توهم الطبقة الكادحة بضرورة قبولها وتقبل بها في شكل إكراه وإجبار طوعي مؤسساتي باعتبارها الثقافة الوحيدة المقبولة وهذا بطريقة لا مادية بمعنى رمزية أي بنوع من اللطف حيث يستمر هذا النوع من العنف

عبر آليات الهيمنة وإعادة الإنتاج بنقل مختلف الرساميل إلى ورثة جديرين بالحفاظ على هذا المكتسب وعليه يعاد إنتاج وإعادة الإنتاج الطبقي، هذا ما يظهر في الحقل التربوي على سبيل المثال عندما تتباهى المدرسة بديمقراطية التعليم ظاهريا وبالحياد إلا أنها في الواقع تميل إلى أبناء الطبقة البرجوازية في تكريس اعادة انتاج قيمها ومعانيها فهي تفضل أبناءها في توفير فرص النجاح الواسعة مقارنة مع أبناء الأسر الكادحة أثناء التنافس البيداغوجي المبني على تعسف ثقافي المنحاز للطبقة المهيمنة.

يبدو أن للعنف الرمزي عدة صور في واقعنا المحلي وعلى سبيل المثال نجد أولوية الذكر على الأنثى في مجال التقاليد الاجتماعية بخصوص الطقوس التي تقام للمواليد، أما في الحقل السياسي فإن السلطة السياسية وحتى تحافظ على بقاءها واستمرارها فإنها تمارس العنف الرمزي بناءا على ترسانتها القانونية التي تعدل حسب الظروف خدمة لمصالحها وتنشر صورتها الناجحة اديولوجيا عبر مختلف المؤسسات كي تدفع الأفراد بالاعتراف الطوعي لها عبر آليات الانتخابات على سبيل المثال.

خلاصة :

يحتوي الكتاب الذي اعتمدنا عليه في عملية الترجمة على مفاهيم عديدة أخرى على غرار ما تطرقنا إليه 'يندرج هذا النسق المفهوماتي تحت البناء النظري الذي عرف به بيار بورديو وهو "البنيوية التوليدية" كما نذكر القارئ بأنه لم يكن بوسعنا التطرق لجل المفاهيم الواردة في الكتاب لأن القراءة التي قمنا بها لا تعني ترجمة الكتاب كله بل وقفنا على أهم المفاهيم التي لفتت انتباهنا، نعترف بصعوبة الترجمة لأن الأمر يتعلق ببناء تجريدي فأخذنا المعنى وتصرفنا فيه، إننا لا نود من خلال هذه المساهمة العلمية الموجهة إلى مختلف الفاعلين في الحقل الأكاديمي السوسيولوجي بصفة خاصة أن ننقص من قيمة صاحب النظرية "بورديو" فعظمة الرجل وأفكاره أكبر من أن تختزل في هذه القراءة المبسطة.